محاضرة رقم 06: تشكل الرأي العام : الانتقال من الفضاء العمومي التقليدي إلى الفضاء الرقمي :

كما سبق وأن أشرنا في عنصر سابق فإن ثمة عوامل متعددة تتداخل في تشكيل الرأي العام وبلورته لعل أهم هذه العوامل هو المناخ السياسي السائد في مجتمع ما والذي يتحدد من خلاله الرأي العام ، حيث نجد أن الأنظمة الليبرالية والديمقراطية تمنح لأفرادها منابر التعبير عن آرائها وتقديم ملاحظاتها بخصوص الممارسة السياسية ، والبرامج والمشاريع ...الخ وذلك عبر مختلف الفضاءات العمومية التي تعد مفتوحة ومتاحة أما المواطنين والتي تؤطرها وتنظمها القوانين التي تسنها السلطة الحاكمة بغية تحقيق الاستقرار السياسي والاجتماعي ، حيث تسمح هذه الفضاءات العمومية بخلق و توفير دوائر للنقاش والحوار ومباحثة مختلف المسائل التي تهم الشأن العام فتظهر بذلك الآراء المختلفة التي تباين في كثير من الأحيان بيت التأييد والمعارضة وذلك بحسب القناعات والحجج التي يمتلكها كل فرد يعبر عن رأيه .

إن التعرف على طبيعة الرأي العام تجلى من خلال مظاهره التي تتضح من خلال تصرفات الأفراد ، فالرأي العام لا ينحصر فقط في الآراء والتصريحات بل يتمثله الأفراد في سلوكياتهم ، وتتمثل مظاهر الرأي العام في المظاهرات ، الاعتصامات ، الإضرابات ...الخ و التي يقوم بها الأفراد في الفضاءات العمومية التقليدية والتي لا تترتب عنها أي عقوبات في الأنظمة الديمقراطية بل يكفلها القانون لأنها حق من الحقوق العامة للمواطنين والتي تعكس مدى الحرية والشفافية والاستقلالية التي يتمتع بها المواطنون.

وعلى العكس من ذلك تماما فإن الأنظمة الديكتاتورية تحتكر الفضاءات العمومية وتسيطر عليها وهي ليست مفتوحة في وجه المواطنين جميعا بل هي تحت سيطرة وإدارة الجماعات الموالية للنظام فحسب ، بينما كل من هو معارض للسلطة السياسية فليس له مكان أو فضاء للممارسة السياسية أو للإدلاء برأيه والتعبير عنه ، بالإضافة إلى ذلك فأن الأفراد في ظل الأنظمة الدكتاتورية لا يستطيعون الجهر بآرائهم خاصة إذا ما كانت لا تتماشى مع السياسية العامة للسلطة السياسية ، كما أن الأفراد يتعرضون لشتى الممارسات القمعية سواء بطرق قانونية أو غير قانونية ومن هذه الممارسات : منع التجمهر ، القيام بالمظاهرات ، القيام بالإضرابات وذلك من خلال فرض عقوبات مختلفة كالسجن والتغريم ، وبالتالي فالرأي العام في ظل هذه الأنظمة الدكتاتورية يظل كامنا نتيجة الخوف والمضايقات السياسية الممارسة على الأفراد في الفضاء العمومي، و من هذا المنطلق يمكن القول أن تشكل الرأي العام يتجلى أكثر كلما كانت الفضاءات العمومية

متاحة للأفراد للتعبير عن آرائهم والجهر بها وذلك في ظل نظام سياسي ديمقراطي ، بينما تنعدم فرص الرأي العام في التبلور كلما كان النظام السياسي السائد دكتاتوري.

لكن مع التطور التكنولوجي الهائل الذي وصلته مختلف المجتمعات خاصة على مستوى وسائل الإعلام وبالأخص شبكة الانترنت ، فقد أتاحت هذه الأخيرة ما يعرف بالفضاءات الرقمية التي سبق الإشارة إليها وبالنظر إلى خصوصية هذه الفضاءات الافتراضية من تفاعلية واستقلالية فقد كانت عاملا مهما بالنسبة للأفراد للتعبير عن أفكارهم وآرائهم وتبادلها وتباحثها مع الآخرين وذلك بعيدا عن كل الاستفزازات والمضايقات والمتابعات السياسية الممارسة على الأفراد في الفضاءات العمومية التقليدية – خاصة في ظل الأنظمة الدكتاتورية– حيث شكلت الفضاءات الرقمية البديل الأمثل للمواطنين للتحاور وإجراء المناقشات عبرها إزاء مختلف المسائل والقضايا التي تهمه وتمس مصالحهم والتي كانوا لا يستطيعون مباحثتها عبر الفضاء العمومي ، حيث وجد الأفراد في الشبكات الاجتماعية والمدونات المنبر الملائم لمناقشة المواضيع الهامة التي والتي تعنى بالشأن العام ، بالإضافة إلى إبداء الملاحظات بشأن السياسية العامة التي تنتهجها السلطة الحاكمة وكذا تقييم القوانين ، البرامج والمشاريع المنجزة ، علاوة علة توجيه الانتقادات لمختلف الممارسات ، الخطط والبرامج السياسية ومختلف المظاهر السلبية في المجتمع، وبالتالي يمكن القول أن الأفراد قد استغلوا الفضاءات الرقمية المتوفرة لديهم للتعبير عن آرائهم والمساهمة في بلورة الرأي العام وذلك من خلال :

– نشر الحقائق والمعلومات المختلفة حول مختلف القضايا خاصة تلك التي تتستر عليها وسائل الأعلام والأنظمة السياسية وبالتالي المساهمة في خلق نوع من الوعي الاجتماعي والسياسي الأمر الذي يمكن الفرد من تكوين رأي صائب وسليم .

– تعبئة الأفراد لتأييد أو معارضة بعض المشاريع والقوانين التي تقترحها السلطات السياسية ، فإذا كانت هذه المشاريع ذات مصلحة عامة وتعود بالمنفعة على الأفراد فإن التعبئة الجماهيرية في هذه الحالة تكون باتجاه التأييد ، أما إذا كانت تلك القوانين والمشاريع لا تعود بالنفع على المجتمع فإن حملة التعبئة الجماهيرية تتجه نحو المعارضة.

– إثارة بعض المسائل ، المواضيع والمشاكل التي لم تكن تظهر على أجندة وسائل الإعلام أو التي تعتبر من الطابوهات في المجتمع للمناقشة العامة وذلك في محاولة من الأفراد لإيجاد واقتراح الحلول بشأنها

– تعبئة الرأي العام وحشده لتأييد ومناصرة القضايا المصيرية والوقوف في وجه كل ما يتهدد المجتمع المحلي أو السيادة الوطنية من أخطار واستفزازات و مساومات...الخ.

❖ الرأى العام وتداعيات الفضاءات الرقمية:

وعموما فإن التداعيات التي أحدثتها هذه الفضاءات الرقمية تمثلت في:

✓ إعادة تشكيل الحدود بين العام والخاص:

ظهرت في هذا الفضاء العمومي الافتراضي أشكال جديدة من الظهور الإعلامي أتاحت بروز الأفراد المغمورين وعوالمهم الذاتية وفق أشكال مختلفة فلقد عززت الانترنت من عملية الانفتاح على العوالم الخارجية، حيث أنها أتاحت فضاءات جديدة تشكلت فيها حالات تواصلية يتفاعل من خلالها المستخدمون عبر أنواع مستحدثة من الكتابة (تدوين)، وعلى هذا النحو فان منصات التواصل الاجتماعي أصبحت تمثل فضاءات لبناء الهوية الفردية ولاستعراض الذات في المجال العمومي.

إن هذا التداخل بين العالم الذاتي الخاص والعالم العام الخارجي يؤدي إلى إعادة تشكيل المعايير الثقافية التي تحدد الخصوصية والذاتية في أي مجتمع.

✓ أشكال جديدة من الفعل الجماعي:

أفرزت فضاءات التواصل الاجتماعي والنشر الذاتي مجالات بديلة تشاركيه وتفاعلية تحتضن جماعات افتراضية تكونت حول مشاغل مشتركة سياسية واجتماعية وثقافية...الخ، ففي المجال السياسي على وجه الخصوص احتضنت هذه الفضاءات أشكالا متعددة من المداولة والنقاش وذات علاقة وطيدة بالشأن العام، وسمحت هذه الفضاءات للشباب والنخب السياسية المهمشة بتجاوز آليات تغييبها في المجال العمومي التقليدي الذي تسيطر عليه الدولة وما يشار إليه هنا هو أن هذه الفضاءات ليست دائما فضاءات التنوع الفكري والسياسي يتناقش فيها المشاركون بطريقة رصينة للاتفاق على معايير مشتركة، بقدر ما هي مساحات لطرح الأفكار والآراء.

- ✓ **استخدامات جديدة ومتعددة:**

تختلف الفضاءات الافتراضية عن تلك التي تحكم الفضاء الإعلامي التقليدي، لأنها تجسد مبدأ تعدد الأصوات (مقابل مبدأ الصوت الواحد) ومبدأ الاختلاف (مقابل مبدأ الإجماع) ومبدأ التنوع (مقبل مبدأ التنميط) ففي الفضاء العام الافتراضي تتجلى العوالم الذاتية والأفكار والآراء ذات العلاقة بالشأن العام .

- ✓ **المستخدم المبتكر:**

يتسم الفضاء العام الافتراضي الجديد بأنه ليس مجالا تمثيليا يقتصر على نخبة معينة تتحدث باسم الجماهير الصامتة كما هو الشأن في الفضاء العام التقليدي النخبوي أن تحول الجمهور إلى مبتكر للمضامين ومنتج لها ،وهذه المضامين يمكن أن تكون وثائق ،صور ، فيديوهات ذات مضامين ذاتية أو عامة تتعلق بالأحداث السياسية أو الاجتماعية .....الخ كما يمكن أن تكون إبداعات أصيلة أو إعادة تدوين المضامين مستلهمة من وسائل الإعلام المختلفة ويمكن القول أن هذه المضامين تمثل نوعا جديدا من الإنتاج الثقافي.